٩٠ — مقياس الرقي

قيل إن مقياس الرقيّ في الأمم الأخلاق . فأرقى الامم أحسنها خُلقاً ولكن هذا لا يُقنع . فالاخلاق متغيرة وكلّ عصرٍ له أخلاقٌ يتطلبّها وواجبات ينشدها . وما علينا الآن من واجبات أضعاف ما كان على أجدادنا منها . أصبح واجباً علينا أن نعلّم أولادنا في المدارس، وما كان ذلك واجباً من قبل إنما كان تبرعاً من الأب . وأصبح واجباً علينا ترقية الوطن من جهات متعددة وما كان ذلك واجباً من قبلُ ... وكان آباؤنا يعدُّون من أرقى الأخلاق في الأمة حجاب نسائها وبناء سور متين بين الرجل والمرأة فأصبحنا نرى الواجب أن تتعلّم المرأة كما يتعلّم الرجل ... وأن تتمتع بالحياة البريئة كما يتمتع الرجل ... فالأخلاق كلمة عامة تدل على كل شيء ولا تدل على شيء .

قيل الرقي بالدين، وهي كذلك كلمة عامة يختلف مدلولها باختلاف أنظار الناس يضيق عند بعضهم ويتسع عند البعض .

وفي الحق أن هناك مناحي للحياة مختلفة متعدّدة يجب ان ينظر إليها كلّها لتقويم الرقيّ . ففي كل أمة مجموعة من المرافق يُعَدّ كلّ مرفق منها كالخلية في الجسم الحيّ : من حكومة وتعليم ولغة ودين وأسرة ونظام اقتصادي ونحو ذلك . كلّها تتغيّر وكلّها ترقى وتنحط وكلّها في حركة مستمرّة دائماً إمّا الى الأمام وإما الى الخلف وكلها تتفاعل تفاعلاً قوياً ... وهذا التغير الدائم في كل هذه المرافق هو مقياس الرقي والانحطاط ...

أحمد أمين